السنة الثالثة والستون بعد المئتين

فيها بعث يعقوبُ بن اللَّيث عُزيزَ بن عبد الله الأسَدي[١] إلى ابنِ واصل عاملِ المعتمد على فارس، فأخذه عُزيزٌ أسيراً، وقدم به على يعقوب، ودخل يعقوبُ الأهوازَ واستولى عليها، وهرب من بين يديه [ابنُ][٢] لَيْثَويْه نائبُ الموفَّق.

وفيها مات عُبَيْد[٣] الله بن يحيى بنِ خاقان، واستوزر من الغَدِ الحسن بن مَخْلَد، ثمَّ قدم موسى بنُ بُغا سامرًّا، فهرب الحسنُ إلى بغداد، واستوزرَ مكانه سليمان بن وهب في ذي الحِجَّة.

وفيها أخرج [أخو] شركب[٤] الحسينَ بنَ طاهر عن نَيْسابور، وغلب عليها، وصار الحسينُ إلى مَرْو، وبها ابنُ[٥] خُوارِزم شاه يدعو لمحمَّدِ بنِ طاهر، وضارَّ أخو شركب أهلَ خُراسان، وأخذ ثُلُثَ أموالِهم[٦].

وفيها سلَّمت الصَّقالبةُ حِصنَ لُؤلؤة إلى ملكِ الرُّوم.

وحجَّ بالنَّاس الفَضْلُ بنُ إسحاقَ الذي حجَّ بهم عامَ أوَّل [والله أعلم][٧].

وفيها توفي

عُبَيدُ الله بنُ يحيى

ابنِ خاقان بن عُرطوج[٨]، أبو الحسن[٩]، الوزير التُّركي.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٠ : عُزيز بن السَّريّ، وهو الأشبه.

(٢) ليست في النسخ، والمثبت من «تاريخ الطبري».

(٣) في النسخ: عبد. وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٢ ، و«الكامل» ٧/ ٣١٠ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٦٦ . وسيأتي ذكره قريباً.

(٤) في (خ) و(ف): أخرج شركت. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٣٢ ، و«الكامل» ٧/ ٣١٠ .

(٥) في «تاريخ الطبري»: أخو. والمثبت موافق لما في «الكامل».

(٦) من أول السنة إلى هنا ليست في (ب).

(٧) في (ب): حج بهم في السنة الماضية. وما بين معكوفين منها.

(٨) في (ب): بن خاقان، وخاقان هو ابن عرطوج.

(٩) في النسخ: أبو الحسين. والمثبت من «تاريخ مدينة دمشق» ٤٤/ ٤٤٧ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٦٧ .

وَزَر [عبيد الله] للمتوكِّل، وقَدِم معه الشَّام، ونفاه المستعينُ إلى بَرْقة سنةَ [ثمانٍ وأربعين ومئتين، ثم عاد إلى بغدادَ في سنة][1] ثلاثٍ وخمسين ومئتين.

ذكرُ طرفٍ من أخباره:

كان جَوَاداً سَمْحاً، ذا مروءةٍ ظاهرةٍ، يفكِّر في العاقبة، و[كان ممدَّحاً،] مدحه البحتريُّ بقصيدته الَّتي يقول فيها: [من الكامل]

يا عارضاً مُتَلَفِّعاً ببُرُودِهِ ... يَختالُ بين بُرُوقه ورُعُودِهِ
لو شئتَ عُدْتَ بلادَ نَجْدٍ عَوْدَةً ... فنزلْتَ بين عَقِيقِهِ وزَرُودِهِ
وإلى أبي الحسنِ انصرفْتُ بهِمَّتي ... عن كلِّ منْزُور النَّوالِ زَهيدِهِ
الدَّهرُ يَضحكُ عن بَشاشةِ بِشْرِهِ ... والعيشُ يرطُبُ من نضارةِ عُودِهِ
أعلى بنو خاقانَ مجداً لم تزلْ ... أخلاقُهم حُبُساً على تَشييدِهِ
إنْ أوقفَ الكُتَّابَ أمرٌ مُشكِلٌ ... في حَيْرةٍ رجعوا إلى تَسْديدِهِ
فاللهُ يُبْقيه لنا ويُعزُّه ... ويحوطُه ويزيدُ في تأييدِهِ

من أبيات[2].

وقال ابن عساكر: قَدِمَ دمشقَ مع المتوكِّل، وقدمها [مرَّةً أخرى مُكرهاً]حين نفاهُ المستعينُ إلى بَرقة، [وحجَّ وعاد إلى بغداد في سنة ثلاثٍ وخمسين ومئتين، واستوزره المعتمدُ في شعبان سنةَ ـ ستٍّ ـ وخمسين ومئتين] وكان يَتَقلَّد[3] دمشقَ عيسى بنُ الشيخ، فلقيه عيسى، وترجَّل له، وأعظمه، وأكرمه، وخَدَمه، ووصله، حتَّى كان عبيدُ الله يسيرُ في قُبَّةٍ له طول اللَّيل، وعيسى يسيرُ بين يديه على فرسِه اللَّيلَ كلَّه، وعبيدُ الله لا يشكُّ أنَّ عيسى في قُبَّة، فقيل له: مازال عيسى يسيرُ بين يديك طولَ اللَّيل على فرسه، فحفظ له ذلك، فلمَّا قُلِّد الوزارةَ المرَّة الثانية، قلَّد عيسى بلادَ بكر وأرْمينية.

وحجَّ وعاد إلى بغدادَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين، وأقبل يوماً فأنشدهُ عاصمُ بنُ وهبٍ البُرْجُميُّ: [من الطويل]

---

(١) ما بين معكوفين من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٤٧.

(٢) من قوله: بقصيدته . . . إلى هنا ليس في (ب)، وما سلف بين معكوفين منها، والأبيات في ديوان البحتري ٢/ ٦٩٣ـ٦٩٦، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٥٢.

(٣) من هنا إلى ذكر وفاته ليست في (ب).

نظرتُ إلى يحيى بنِ خاقان مُقْبلاً فشبَّهْتُه في المُلْكِ يحيى بن خالدِ
ومرَّ عبيدُ الله يُشْبه جعفراً فأكْرِمْ بمولودٍ وأكْرِمْ بوالدِ
جمعتُ بذا المعنى معانٍ كثيرةً ولم أفسدِ المعنى بطولِ القصائدِ[1]

ولما ولي المعتمدُ الخلافةَ سمَّوا له جماعةً من الوزراء، فلم يُعجِبْه إلَّا عبيدُ الله فاستوزرهُ، فقام بأمر الخلافة أحسنَ قيام وأتمَّ نظامٍ، مع كثرة المتغلّبين على البلاد، وكان أحمدُ بنُ طولون قد تغلَّب على مصرَ والإسكندرية وبَرقة، وأماجور[2] على الشَّام ودمشقَ، وسيما الطَّويل على العَواصم وقِنَّسْرين، وأيوبُ بنُ أحمد ديارَ ربيعة والموصلَ وشَهْرَزُور، وعمر بن علي[3] أَذْرَبِيجان، وابن أبي دُلَف على أَصْبَهان وهَمَذَان ونَهَاوَنْد، ويعقوب الصفَّار على خُراسان وفارس وسِجِسْتان وكَرْمان، وكيغلغ على الرَّيِّ وقُمّ وقَزْوين، والحسنُ بنُ زيد على طَبَرِستان وجُرْجَان والدَّيْلَم، وصاحبُ الزَّنْج على البَصْرة والأهواز والبحرين والأُبُلَّة وعبَّادان، وكَنْجور على سَقْيِ الفراتِ، ومُساوِر الشَّاري على دَقوقا وطريقِ خُراسان، فدبَّر الدُّنيا حكاية.

وقال محمدُ بن أحمد بن الخصيب: قال لي عبيدُ الله يوماً: اخرج إلى الباب ترَ شيخاً من صفتِه كذا وكذا. فقل له: أبْرَمْتَني[4]، وأنت ثقيلٌ على قلبي، انصرفْ فليس لك عندي عمل، وإلَّا فعلتُ وفعلتُ، وحبستُكَ سنةً، فخرجتُ إلى الشَّيخ وإذا به قائمٌ، فأدَّيتُ إليه الرسالةَ، فقال لي غيرَ مكْترثٍ بما سمع منِّي: قل له: والله ما أتيتُك قاصداً لكَ، ولا راغباً فيك، ولكنَّك جلستَ في طريقِ أرزاقنا، ولابُدَّ من الاجتياز بك، وإن كان رجاءُ العاقل منوطاً بالله دونَك، وليس[5] الملكُ منعٌ ولا عطاء، ثمَّ تضاحك، وقال: يحبسني سنةً! يا وَيْحه، من ملَّكه الزمانَ المستقبلَ حتَّى يستحكمَ هذا التحكُّمَ، ويتوعَّدَ هذا التوعُّد؟ قال محمد: فدخلتُ على عبيد الله فأعدتُ عليه ما قال، فقال: صدق والله، ولقد ابتُلِيتُ به، ثمَّ ركب عبيد الله فتلقَّاه بمثل ما كان يتلقَّاه به من السَّلام،

(١) «تاريخ دمشق» ٤/ ٤٥١ ، ٤٥٤ .
(٢) في (خ): اباجور، وفي (ف): ناجور، والمثبت من «تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٠١ ، وسيأتي.
(٣) في (خ): وعمرو بن كذا علي. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٥١٠.
(٤) في تاريخ ابن عساكر ٤٤/ ٤٤٩ : ألححت عليّ. وأبْرَمَهُ: أملَّه وأضجره. مختار الصحاح (برم).
(٥) في (خ) و(ف): وكيس. والمثبت من «تاريخ دمشق».

وكان من عادته إذا رأى عبيد الله ترجَّل.

وسار عبيدُ الله إلى دار الخليفة، ثم خرج غلامٌ فاستدعى الشيخَ، فدخل، فغاب ساعةً، وخرج وبيده ثلاثُ تواقيع، فعجبتُ منه، فلمَّا خرج عبيدُ الله سايرتُه، وسألته عن الشَّيخ فقال: دخلتُ على الخليفة وقد غلب عليَّ الغيظُ من رسالة الشَّيخ، فقال: دخلت على الخليفة فبعضُها يحرِّكني على مَساءته، وبعضُها يوقفني عنه، فقال لي الخليفةُ: قد مات عاملُ الخَراج على الثُّغور، فمن ترى أنْ نولِّي، فقلتُ: شيخاً على الباب يصلحُ إن قَبِلتَه، قال: فأَحضِرْه، فأحضرتُه، فلمَّا دخل عليه تأمَّله وقال: ما أحسنَ ما اخترتَ، قد قَبِلَتْه نفسي، قال: فقلتُ في نفسي: جاء والله معنى الرسالة، فكلَّم الخليفة فقال: والله يا أمير المؤمنين البطالةُ قد ضعَّفتْ حالي، فقال: توقّع له بألفِ دينار، وتكتب بأرزاق من يجيء معي، فقلتُ: نكتب بها، فقال: وتوقيعاً بالولاية، فكتب له بالجميع، قال عبيدُ الله: فلم أرَ في نفسي انحطاطاً ولا تذلُّلاً، وشكراً لله تعالى وحدَه، فلم أرَ رجلاً استصغر مواردَ أمورِنا ومصادِرَها مثلَ الشَّيخ.

وقال أحمدُ بنُ إسرائيل: قال لي عبيدُ الله: قد فكَّرتُ في أمور الدُّنيا وصلاحها، ودُرور الأموال، وأَمْنِ السُّبُل، وعلمتُ أنَّ الدُّنيا أمكنُ وأنكرُ وأنكدُ من أن يدومَ صفاؤُها لأحد، فما مضتْ بعد ذلك أربعون ليلةً حتَّى قُتل المتوكِّل، ونُفي عبيدُ الله[١].

قال الصُّولي: ركب يوماً وهو وزيرٌ، فوقف له بعضُ الهاشميين، فأخذ بِلِجام فرسِه وقال له: يا زنديقُ، يا فاسقُ، يا كذَّابُ، فقال: أمَّا زنديق؛ فوالله ما كفرتُ بعد إسلامي، وأمَّا فاسق؛ ففي الحلال مندوحةٌ عن الحرام، وأمَّا كذَّاب؛ فوالله ما تعمَّدتُ الكذبَ ولا استَحْسَنتُه، خلِّ اللِّجامَ، فعجب النَّاسُ من حِلمه وعفوه[٢].

ولمَّا دخلت الزَّنجُ البصرةَ في أيام المعتمد، أكثر الناسُ الضَّجيجَ على الوزير فملَّ وضَجِر، فقال: ذهبت البصرةُ فمَهْ!؟ وسمعها النَّاس، فقال عمرو بن إبراهيم العدويُّ: [من المنسرح]

---

(١) ذكر هذا الخبر ابن عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٤٥١ .

(٢) ذكر الخبر مختصراً الصفدي في «الوافي بالوفيات» ١٩/ ٤١٨ .

قال الوزيرُ المعاوِنُ الظَّلَمَهْ الأخرسُ اللَّفْظِ مُشْبِهُ الرَّخَمهْ[١]
وقد شكونا ذهابَ نُصرتِنَا إن ذهبتْ نصرةُ الغريب فَمَهْ
إنْ ذهبتْ زالَ ملكُ بني العبَّاس أهلِ الفَخَار والعَظَمهْ
كَلْمة سُوءٍ زلَّ اللِّسانُ بها ورُبَّ حَتْفٍ تسوقُه كَلِمهْ
هانَتْ عليه دماءُ سادَتِنا أسأل ربِّي بما جناه دَمَهْ

وبلغ أبا يعلى كاتبَه فقال: والله لا يُفنه من الدنيا، فقال العدويُّ: أمَّا من الدُّنيا فلا يلي من سُرَّ مَنْ رأى فنعم، ثمَّ قال فيه: [من الخفيف]

نعمةُ الله لا تُعاب ولكنْ رُبَّما استُقْبِحَتْ على أقوامِ
لا يليقُ الغِنى بوجه أبي يَعْـ ـلى ولا نورُ بَهْجَةِ الإسلامِ
وَسِخُ الثَّوبِ والقَلانسِ والبِرْ ذَون والوَجْهِ والقَفَا والغُلامِ
لا تمسُّوا أقلامَه فتمسُّوا من دماء الحُسين في الأَقلامِ[٢]

ومعناه أنَّهم لما أتَوا برأس الحسين عليه السَّلام إلى ابنِ زياد، طلب من يقوِّره، فلم يتجاسرْ عليه أحدٌ، فقام طارقُ بنُ المبارك فقوَّره على ما أراد ابنُ زياد[٣]، وأبو يعلى من ولد طارق. وكان عبيد[٤] الله مشغولاً بالوزارة ليس عنده أدبٌ ولا رواية، وابنُه موسى صاحبُ القصيدة الخاقانيَّةِ في تجويد القراءة وهي مشهورة.

ذكر وفاته:

[قال الصُّولي:] دخل عبيدُ الله ميداناً في داره يوم الجمعة لعشرٍ خلون من ذي القعدة [في سنة ثلاث وستين ومئتين] على ثلاث ساعات ليضرب بالصَّوالِجَة، فصدمه خادمُه رَشيق، فسقط من دابَّته فلم يَنْطق بحرف، وجرى من أذنيه دمٌ كثير، وبلغ الموفَّق فجاء مُبادراً، فوضع رأسَه على فخذِه، وكلَّمه فلم يتكلَّم، فقال ابنُ راسبة[٥] [الطبيبُ] طبيبُ

(١) الرَّخَمة: طائر أبقع على شكل النَّسْر خلقةً، إلا أنه مبَقَّع بسواد وبياض. اللسان (رخم). ويضرب بها المثل بأنها ألأمُ طير وأقذرها طعماً؛ لأنها تأكل العذرة، يقال أموقُ من الرَّخمة. «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٢٣.

(٢) ذكر هذه الأبيات العكبري في شرح ديوان المتنبي ٢/ ٣٧٠، وابن المعتز في «طبقات الشعراء» ص ٤١٧، والصفدي في «الوافي بالوفيات» ٢٢/ ٤١٠ـ٤١١. دون ذكر البيت الأخير.

(٣) ذكر هذا الخبر القرطبيُّ في «التذكرة» ص ٥٦٧.

(٤) في (خ) و(ف): عبد، وهو خطأ.

(٥) في (ب) و(ف): راشته.

أبي أحمد: هذا الدَّمُ الخارجُ من أذنيه؛ انقطع بعضُ الشّريانات الّتي في رأسه، فمات بعد ثلاثِ ساعاتٍ عند صلاة الجمعة، فحزن عليه الموفَّق، ومشى في جنازته، وصلى عليه، وحُمِل في جنازته أعلامٌ احتراماً له، ولم تُحمل في جنازة غيره، ودفن بسُرَّ من رأى، ورثاه الشُّعراء؛ فقال[١] يحيى بنُ عليّ: [من الطويل]

أبا حسنٍ لا تَبْعَدَنَّ فقد مضى ... من الأرض لما أن مَضيتَ بهاؤُها
وهى المُلكُ وانحلَّتْ عُرى الدِّين بعدَه ... وأظلم من أرض العراقِ ضياؤُها
لقد فارق الدُّنيا حَميداً وأَلْسُنُ البَرِيَّة مصروفٌ إليه ثناؤُها
يُسَكِّن نفسي أَنَّني لستُ باقياً ... ولستُ أرى نفساً يَدومُ بقاؤُها
عزاءً أميرَ المؤمنين لنفسك البقاءُ طويلاً والنُّفوسُ فداؤُها
ولا تُحْبِطَنْ أجرَ المصيبةِ إنَّه ... على قَدْرِ أحزانِ النُّفوس جزاؤُها

وفيها توفي

محمد بن محمد[٢] بن عيسى

أبو الحسن البغداديُّ، ويعرف بابن أبي الوَرْد، وبـ: حَبَش؛ لأنَّه كان أسمرَ اللَّون، وإلى جدِّه أبي الوَرْد تُنسب [سُويقة أبي الورد][٣] ببغداد.

واسم جدِّه أبي الورد: (محمد)[٤] بنُ محمدِ بنِ عيسى، مولى سعيدِ بنِ العاص مولى عَتاقة، وكان في صحابة المنصور.

و[قال الخطيب:] مازال ـ محمَّدٌ هذا ـ مشهوراً بالزُّهد والوَرَع والخلوةِ [والعبادة] حتَّى توفِّي في رجب من هذه السَّنة ببغداد[٥].

---

(١) من قوله: فقال يحيى... إلى آخر الأبيات، ليست في (ب)، وبدلها: وهذا ما انتهى إلينا من سيرته. وما سلف بين معكوفين منها. والأبيات ذكرها الصَّفدي في «الوافي بالوفيات» ١٩/ ٤١٩. وفيه: يحيى بن عبيد الله بن المنجّم، بدل: يحيى بن علي.

(٢) جاءت هذه الترجمة في (ب) في آخر السنة، وذكرها ابن الجوزي في «المنتظم» ١٢/ ١٨٥، في وفيات سنة (٢٦٢هـ).

(٣) ما بين معكوفين من (ب).

(٤) هذه الزيادة من «تاريخ بغداد» ٤/ ٣٣٠.

(٥) ما سلف بين معكوفين من (ب).

صحب بِشراً الحافيَّ، وسَريًّا السّقَطيَّ، والحارثَ المُحاسِبيَّ، وأسند الحديثَ عن هاشم[١] بنِ القاسم وغيرِه، وروى عنه عبدُ الله بنُ محمدٍ البغويُّ وغيرُه[٢].

ومن حديثه عن ابنِ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أوحى اللهُ إلى نبيٍّ من أنبياءِ بني إسرائيل: قل لفلانٍ العابد: أمَّا زهدُك في الدُّنيا فقد تعجَّلت الراحةَ لنفسك، وأمَّا انقطاعُكَ إليَّ فتعزَّزتَ بي، فماذا عملتَ فيما لي عليك؟ فأخبره النبيُّ بذلك فقال: سَلْه: يا ربُّ، ومالك عليَّ؟ فقال: قل له: هل عاديتَ فيَّ عدوًّا، أو واليتَ فيَّ وليًّا؟»[٣].

وقال محمَّد بنُ هلال: النَّاس في حرفين؛ اشتغالٍ بنافلةٍ وتضييعِ لفريضة، وعملٍ بالجوارح بغير مواطأة القلب، وإنَّما مُنعوا الوصول بتضييع الأصول[٤].

وأخوه **أحمدُ بن محمد** أبو الحسن أيضاً كان من كبار الزهَّاد، مات قبلَ أخيه محمد، وصحب أحمدُ مَنْ صحب أخوه محمَّد، وله الرِّياضاتُ والمجاهداتُ والكلامُ الحسنُ. قال: وليُّ الله كلَّما زاد جاهُه زادَ تواضعُه، وإذا زاد مالُه زاد سخاؤُه، وإذا زاد عمرُه زاد اجتهادُه.

وقال: إنَّما وصل القومُ بخمسٍ: بلُزومِ الباب، وتركِ الخلاف، والنَّفاذِ في الخدمة، والصَّبرِ على المصائب، وصيانةِ الكرامات[٥].

وكان هو وأخوه قد صحبا أبا عبد الله السَّاجي، فكان يقول: مَن أراد أن يخدمَ الفقراءَ فلْيخدِمْهم خدمةَ ابنَي أبي الوَرْد؛ صَحِباني عشرين سنةً ما سألاني مسألةً قطُّ، ولا رأيتُ منهما ما أكره.

وقال ابنُ حُميد: أحمد ومحمد ابنا أبي الوَرْد من كبار المشايخ العراقيين، وأقاربِ

---

(١) في (خ) و(ف): الهيثم، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٢١ـ٤٢٢ .

(٢) من هنا إلى آخر الترجمة ليست في (ب).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٣١٦ ، والخطيب في «تاريخه» ٤/ ٣٣١ ، وفيه حميد الأعرج؛ قال ابن معين: ليس حديثه بشيء. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث. «تهذيب التهذيب» ص ٥٠١ .

(٤) ذكر الخبر أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٣١٦.

(٥) ذكر الخبر أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٣١٥ .

الجُنيد وجُلسائه، وطريقتُهما في الوَرَع قريبةٌ من طريقة بِشر الحافي.

وقال محمد: مَن كانت نفسُه لا تحبُّ الدنيا فأهلُ الأرض يُحبُّونَه، ومَن كان قلبُه لا يحبُّ الدُّنيا فأهل السماء يُحبُّونه.

وقال: الوليُّ مَن يوالي أولياءَ الله، ويعادي أعداءَه.

وقال أحمد: بِساطُ المجد بُسِط لأولياء الله ليأنَسُوا به، ويرفعَ عنهم حِشمةَ البَديهة، وبِساطُ الهَيبة بُسط للأعداء ليستوحشوا من قبائح أفعالهم، ولا يشاهدوا ما يستريحون إليه في المشهد الأعلى[1].

(١) ذكره أبو نعيم في «الحلية».